الصحوة في نظر الغربيين

تأليف
سلمان بن فهد العودة
المشرف العام على شبكة الإسلام اليوم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، وصلوات الله وسلامه وبركاته على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد :

فلإن خفّ البَهَرُ بأخلاقيات الغرب ومثالياته في أعين كثيرين فإن النظرة تحوّلت إلى الظن بأنه يتعامل بحساب المصلحة البحتة. والتي تشكل المنفعةُ المادية عامل الضغط الأكبر فيها.

وهذا بلا شك عامل مهم وجلي في تعامل الغرب مع كثير من قضاياه، ولكن هل يعامل الغرب بلاد المسلمين بهذا المعيار فقط. أم أَنَّ هناك اعتبارات أخرى تؤثر في هذا التعامل وتوجهه، هذا ما نحاول التعرف عليه من خلال استقراء دراسات وكتب ومقالات نشرت لساسة وإعلاميين وكتّاب، أبانت بمجموعها أَنَّ إرث العداء للإسلام لا زال يصبغ نظرة الغرب للمسلمين، ويوجه حركة قراراتهم، وأن عداءً متراكماً عبر القرون ينتظم الحروب الصليبية والاستعمارية؛ لم يمح بعد من ذاكرة الغرب.

وقد لا يظهر هذا في تعامل رجل الشارع الساذج، ولكن يُستكشف من خلال مقولات أصحاب القرار السياسي والتوجيه الإعلامي وكتبهم، وهو ما نعرض جانباً منه في هذه الرسالة، ليتبين أن المسلمين لن يُتركوا وشَأْنَهم، ولن يُخلّى بينهم وبين دينهم إذا توجهوا إلى التزامه بصدق وأخذوه بقوة. وأن الصحوة التي عمّت بلاد المسلمين لم تكن بمنأى عن متابعات الغرب وحساباته، وأن النظرة لها في الدوائر الغربية قد تشكّلت على نحو محدد واضح، وإن اختلفت وجهات النظر في كيفية التعامل والمواجهة.

وفي هذه الرسالة محاولة لتحديد النظرة الغربية تجاه الصحوة، وتعرفٍ لمنطلقاتها ومراميها، وموقفنا نحن تجاه ذلك كله.

وما توفيقنا إلا بالله، فبه ثقتنا، وعليه اعتمادنا، فالله متم نوره ولو كره المشركون، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

سلمان بن فهد العودة

❑ لماذا هذا الموضوع؟

- **أولا: لأننا المستهدفون فيه:**

فهو موضوع ساخن، والساحة الإعلامية الغربية والشرقية ملأى بالكتب والدراسات التي تحاول -على حد تعبيرهم- أن تكتشف الإسلام. ومنذ عشرات السنين كانت العناوين التالية تصدم عين الناظر في الكتب والصحافة الغربية: (**خنجر الإسلام**)، (**التهديد الإسلامي للغرب**)، (**الإسلام المناضل**)، إلى غير ذلك من العناوين. وكانت الحركات الإسلامية التي يسمونها حركات الغضب الإسلامي رمزاً وشعاراً للإسلام، يتعرفون إليه من خلال تداول أحاديثها وأخبارها ومغامراتها. حتى أصبح هذا الحديث أشبه ما يكون باللازمة التي قلما يصدر عنهم أي عمل إعلامي - كتابا كان أو مجلة، أو صحيفة، أو فيلماً تلفزيونياً أو غير ذلك - إلا ويطعمونه بشيء قليل أو كثير من الحديث عن خطر الإسلام أو السخرية به وتشويهه! حتى إنهم منذ سنوات أصدروا فيلماً أمريكيا فيلما اسمه (**إيمانويل السوداء**) وهذا الفيلم كان فيلماً خليعاً داعراً عارياً، وكان الجنس يمارس فيه في معبد فرعوني، وبدلاً من الموسيقى التصويرية كانوا يقدمون صوت المؤذن على مثل هذه المشاهد القبيحة.

وخلال الأحداث المتسارعة الأخيرة التي جرت في العالم الإسلامي مثل أحداث الجزائر، والحرب العراقية الإيرانية، ثم حرب الخليج الثانية بين العراق والدول المتحالفة، وما تلا ذلك من سقوط الشيوعية وتفكك الاتحاد السوفيتي .. برزت دراسات عديدة، بل عقد الكونجرس الأمريكي جلسات متواصلة لدراسة الإسلام ودراسة الصحوة الإسلامية، وظهر الإسلام كمرشح بديل عن الاتحاد السوفييتي للعداوة التي يمكن أن يواجهها الغرب في نظر الكثيرين؛ بل كان الإسلام عنواناً جذاباً لعدد كبير من أغلفة الصحف السيارة فضلا عن الكتب التي يضمن لها الرواج إذا كان الإسلام عنصراً في عنوانها.

كتبت مجلة "التايم" مقالا بعنوان: (**الإسلام والسيف**) وكان هو عنوان الغلاف، ورسمت على الغلاف صورة لمئذنة تعبّر عن الإسلام وإلى جوارها صورة للبندقية.

إذن فنحن نتحدث عن هذا الموضوع لأنا المستهدفون فيه،

وهذا المسوّغ بحد ذاته كاف للكلام عن هذا الموضوع، فضلا عن المسوِّغات الأخرى.

- **ثانيا: تعاظم التأثير السياسي للقرار الغربي على الأمم الشرقية:**

إن التأثير السياسي للقرار الغربي على الأمم الشرقية تأثير كبير، ولا أبالغ إذا قلت إن القرارات ذات الأهمية يكون المرجع فيها غالباً هو الغرب! ومن القرارات ذات الأهمية تلك الموضوعات المتعلقة بالصحوة الإسلامية، أو ما تسميه وسائل الإعلام العربية والغربية بالتطرف؛ فإنهم يعتبرون التطرف أحد الموضوعات الخطيرة التي يجب أن تدرس على مستوى عال، وأن يتم التشاور فيها بين مراكز صناعة القرار في الشرق –إن صحت هذه التسمية– وبين المراكز الغربية.. بل إن الغرب بكل وقاحة يطالب –كما سيرد بعد قليل– أن لا يتم اتخاذ أي قرار يتعلق بالصحوة الإسلامية إلا وتكون أمريكا هي التي تتخذ هذا القرار وحدها دون غيرها !!

- **ثالثا: الصحوة الإسلامية مستهدفة من قبل أعداء الإسلام:**

إن الصحوة الإسلامية مستهدفة من قبل أعداء الإسلام في الشرق

والغرب؛ لا نقول الصحوة، بل الأمة الإسلامية كلها مستهدفة.. في عقيدتها وفي وجودها؛ ولذا فإن الخيار يطرح أحياناً هكذا: علينا أن نعمل على إذابة المسلمين في التيار العالمي؛ والذي يستعصي على الذوبان نقوم بتصفيته والقضاء عليه. وهذا الخيار يقدم من قبل أشخاص ذوي أهمية فكرية وسياسية أمثال الرئيس الأمريكي الأسبق "ريتشارد نيكسون" في إحدى أطروحاته.

إذن فالصحوة بل الأمة مستهدفة من قبل الكثيرين، وكيف لا يحق لأمة تواجه هذا النوع من التهديد أن تنظر موقع أقدامها؟!، وتعرف عدوها من صديقها، والمخاطر التي تواجهها .

- **رابعاً : المسلمين باقون على ظهر هذه الأرض:**

إن المسلمين باقون على ظهر هذه الأرض شاء الكفار أم أبوا، لأن هذا قدر الله، وقدر الله تعالى غالب. قال الله تعالى ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذكر وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر:٩]

فحفظ القرآن هو بحفظ صحائفه وآياته وكلماته، وهو أيضاً بحفظ العاملين به، والحافظين له، والداعين إليه، فهذه الأمة هي

أمة القرآن .

ويقول الله عز وجل: ﴿ هُوَ الذي أَرْسَلَ رسوله بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كله وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾

فالقرآن نزل ليحكم ويهيمن ويظهر على الأديان كلها، وكان حديث رسول الله ﷺ معبرا بالتفصيل عن هذه المعاني العظيمة، فقال ﷺ: "**لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود، حتى يقول الحجر وراءه اليهودي: يا مسلم هذا يهودي ورائي فاقتله**"،[١] وقال عليه الصلاة والسلام: "**لا يزال الله يغرس في هذا الدين غرسا يستعملهم في طاعته**"[٢] وقال عليه الصلاة والسلام: "**ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر، ولا وبر، إلا أدخله الله**

(1) أخرجه البخاري (٢٩٠٩) (٣٣٢٦) من حديث أبي هريرة رضى الله عنه ، وحديث ابن عمر رضى الله عنهما ورواية ابن عمر "تقاتلكم اليهود فتسلطون عليهم ثم يقول الحجر: يا مسلم... الحديث" وأخرجه مسلم بنحوه (٥٢٠) ، (٥٢١)، من حديث ابن عمر رضى الله عنهما.

(2) أخرجه ابن ماجة (٨)، وأحمد (١٧١١٩) من حديث أبي عنبة الخولاني رضى الله عنه .

تعالى هذا الدين بعز عزيز، أو بذل ذليل، عزا يعز الله به الإسلام، وذلا يذل الله به الكفر".[١] بل أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن هذه الأمة سوف تنعم بقرون من الحكم الإسلامي النظيف العظيم قبل قيام الساعة حينما تجتمع هذه الأمة وتقاتل الدجال، وتكون قيادتها أمثال المهدي المنتظر الذي بشر به النبي ﷺ،[٢] وعيسى ابن مريم الذي أخبر الله ورسوله بنزوله[٣]، قال الله عز وجل: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ ﴾ [الزخرف: ٦١].

وقال سبحانه: ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾[النساء ١٥٩]

(1) أخرجه أحمد (١٦٣٤٤)، (٢٢٦٩٧) من حديث تميم الداري وحديث المقداد بن الأسود رضى الله عنهما وفي رواية المقداد "إلا أدخله الله كلمة الإسلام".

(2) انظر سنن الترمذي (٢١٥٦)، (٢١٥٧)، وسنن أبي داود (٣٧٣٣)، ومسند أحمد (٣٣٩٠)، (٣٣٩١)، (٣٨٩٠)، (٤٠٥٤).

(٣) انظر صحيح البخاري (٢٠٧٠)،(٢٢٩٦)،(٣١٩٢)، وصحيح مسلم (٢٢٠) ، (٢٢١).

فالمسلمون واليهود والنصارى كلهم جميعا يؤمنون بخروج المسيح، لكن المسلمين يؤمنون به بمقتضى التنــزيل القرآني والحديث النبوي ليقود المعارك الفاصلة ضد اليهود والنصارى وجميع الكافرين؛ أما اليهود فمسيحهم هو مسيح الضلالة المسيح الدجال الذي يزعمون أنه يقيم دولتهم؛ وأما النصارى فإن مسيحهم أغلوطة وأكذوبة، فإن المسيح إذا ظهر كذب مزاعمهم ودعاواهم التي انتسبوا بمقتضاها إليه وزعموا أنهم أهل دينه. واليهود والنصارى جميعاً يتحدثون عن معركة فاصلة يسمونها "**هرمجدون**" ويقررون جميعاً أن موقع هذه المعركة فلسطين بالذات، ويسمونها المعركة الفاصلة بين قوى الخير -في نظرهم- التي يمثلها اليهود والنصارى، وقوى الشر -في نظرهم- التي يمثلها المسلمون.

أما نحن فنؤمن أن الإسلام وجد ليبقى، ونزل لِيَحْكُم، وأن هذه الأمة لا تنقطع أبدا حتى يبعث الله الريح الطيبة التي تقبض أرواح المؤمنين، فحينئذ لا يبقى في الأرض إلا شرار الناس وعليهم تقوم الساعة. وما دام الإسلام نزل ليبقى وليحكم وليدير أمور الحياة؛ فإن أهل الإسلام يديرون المعركة مع أعداء الإسلام،

وعليهم أبداً أن يشعروا أنهم في غرفة القيادة .. قيادة معركة الإسلام الكبرى مع خصومه وأعدائه، سواء أكانوا يهوداً أم نصارى أم من المنافقين. وأمةٌ هذا شأنها وهذا قَدَرها وهذا حكم الله تعالى الكوني فيها، ينبغي أن تدرك حجم قوتها، وأن تدرك إمكانياتها، لأن الأمة لو استهانت بقوتها أو ضعفت أو ظنت أنها لا تستطيع أن تصنع شيئا؛ لكان ذلك ضربة في قوتها تحدث لها الوهن والفشل، ولو أن هذه الأمة أيضا رأت أنها تملك من القوة والنفوذ أكبر من الواقع؛ لكان ذلك غروراً ومغامرة غير محمودة العواقب. فواجب على الأمة أن تعرف حجم قوتها وموطن هذه القوة وأن تعرف أيضا مواطن ضعفها لتعالجها، وتعرف كيف تتخذ القرار المناسب في الوقت المناسب.

* * *

❑ **عقدة المؤامرة:**

قبل أن نتحدث عن هذا الموضوع الخطير نود أن نعرج على ما يسمى بـــ "عقدة المؤامرة" التي يتعامل معها كثيرون ولكن بصورة غير دقيقة أحيانا.

هناك من يعزو ألوان الفشل الذي منيت به الأمة، سواء أكان فشلا عسكرياً أو صناعياً أو اقتصادياً أو سياسياً إلى الاستعمار أو الصهيونية العالمية أو الصليبية، أو الماسونية، أو ما أشبه ذلك، وكل هذا يُعدّ هربا من تصحيح الأخطاء، ومعرفة الضعف والرجوع عنه.

إن الغرب والصهيونية والاستعمار والشيوعية وكل قوى الأرض ما كانت لتصنع شيئا بهذه الأمة لولا أن هذه الأمة أُتيت من داخلها، وذلك بتخلفها عن دينها، وتفرقها، وضعف اعتمادها على ربها وتخليها عن حمل رسالة الإسلام وبذلك أصبحت جسماً ضعيفاً قابلاً للتأثر بجراثيم المكائد، ولو كانت قوية من داخلها لم يؤثر فيها كيد ولا دسيسة قال الله تعالى: ﴿ وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ

لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـًٔا ﴾ [آل عمران: ١٢٠].

فهذا نمط من الناس ينسبون كل ما أصابنا إلى عدونا وكأننا أبرياء أوفياء صادقون ولكن العدو كان شرسا، ونسوا أن هذا العدو هو نفسه من واجه المسلمين الأولين؛ فما ضرهم شيئاً، بل انتصروا عليه رغم قلة عددهم وعُددهم .

وبالمقابل هناك من يطرحون الغرب اليوم كصديق حميم للمسلمين ويعتبرون أن سقوط الشيوعية هو سقوط لما يسمونه هم بصراع المبادئ الأيديولوجية -يعنون بها العقائد كلها- زاعمين : أن دور العقائد في التأثير السياسي العالمي قد انتهى، وأن المعاملات بيننا وبين الغرب يجب أن تخضع للمصالح لا للمبادئ، ويستبعدون وربما يسخرون من كل نظرة تصور عداء الغرب للمسلمين على أن له منطلقاً دينياً وبعداً عقائدياً ولهم أدلة وشواهد بعضها حقائق واقعية ولكنها جزء من الحقيقة، أما الحقيقة كاملة فلا تكون إلا بجمع صور القضية وتداعياتها وخلفياتها وربط حاضرها بتاريخها، ولذا فإنا نود أن يكون حديثنا

عن هذا الموضوع حديثاً معتدلاً بعيداً عن ألوان المبالغات.

الفصل الأول

نظرة الغرب إلى الإسلام والصحوة الإسلامية

في هذا الفصل نعرض نماذج لعدد من مقالات الغربيين وكتاباتهم وأقوالهم عن الإسلام والصحوة الإسلامية. وهاهنا عدد كبير من الكتب والمقالات.

- **النموذج الأول**: وهو كتاب ألفه "ريتشارد نيكسون" الرئيس الأسبق للولايات المتحدة، واسمه "**الفرصة السانحة**"، يعتبره عدد من المحللين أهم كتبه التسعة على الإطلاق.

- **فكرة الكتاب الأساسية:**

يتكون الكتاب من سبعة فصول، تكلم فيها عن دور أمريكا في قيادة العالم، وأنها يجب أن تظل زعيما متوجا، ونادى الأمريكيين بأن لا يخلدوا إلى الراحة، وأن يظلوا مكافحين لاحتلال الموقع القيادي على المستوى العالمي.

- **نظرة الكتاب إلى العالم الإسلامي والحركات الإسلامية:**

الذي يهمنا في هذا الكتاب هو الفصل الخامس، فقد تحدّث

فيه عن الخطر الإسلامي، فهوّن من شأن العالم الإسلامي ومن خطورته لاعتبارات عدة، حيث قال: إن العالم الإسلامي يعاني من التفكك السياسي الذريع بين دوله التي يصعب أن تجتمع على أمر ما، ثم إنه يعاني من المشكلات المستعصية، والتمزق العقائدي، والمذهبي، الذي يعصف بالشعوب، وبناء عليه فإن العالم الإسلامي في نظره لا يمكن أن يتوحد ولا أن يكون له موقف محدد من القضايا الكبيرة. ثم يضيف بأن الحركات والأنظمة الإسلامية يمكن أن تنقسم إلى ثلاث مجموعات رئيسة :

المجموعة الأولى: يسميهم الأصوليين، ويمثل لهؤلاء بالثوار الشيعة في إيران أو لبنان أو غيرها من الذين يؤمنون بالمبادئ الثورية.

المجموعة الثانية: يسميهم الرجعيين، وهم- في نظره - الدكتاتوريون الذين يحكمون دولاً بنظام الحزب الواحد، ولا يريدون من أحد أن ينافسهم، ويضرب مثلاً لهؤلاء الدكتاتوريين الرجعيين بحاكم العراق وحاكم ليبيا.

المجموعة الثالثة: يسميهم التقدميين، والتقدميون هؤلاء هم

الذين يرون الربط بين الإسلام والعروبة، وليس لهم نظرة عدائية تجاه الغرب مثل تركيا، أو باكستان، فهي دول تقيم أوثق العلاقات والروابط مع أمريكا والغرب.

- **الموقف الصحيح للغرب من الحركات الإسلامية من وجهة نظر الكاتب:**

ومع أن الرجل يرى في هذا الكتاب، أن تدعم أمريكا الطائفة الثالثة من التقدميين الذين لا يحملون العداء للغرب لتحقيق مصالح الغرب نفسه من جهة، ولإضعاف جبهة الأصوليين من جهة أخرى؛ :

إلا أنه مع ذلك يرى أنه لا يمكن دعم هؤلاء دعماً مطلقاً، ولا الوثوق بهم، لأنه من الممكن أن تغير هذه الدول من سياساتها، ومن الممكن أن تقع يوما من الأيام في أيدي من يسميهم بالأصوليين. ومن الطريف أنه يقول بالحرف الواحد في كتابه هذا: "علينا أن نتقبل في بعض الأحيان رفض أصدقائنا في العالم الإسلامي لبعض تصرفاتنا، التي تسبب لهم حرجا سياسيا في بلادهم، فعندما ألقت الولايات المتحدة الأمريكية القنابل على

ليبــيا، قام كثير من الزعماء في المنطقة بلعنها على الملأ، وبالثناء علــيها في ســرهم، فيجــب أن لا يزعجنا أن تضطر الظروف أصدقاءنا أن يتفوهوا ببعض السباب ضدنا إرضاء لأعدائنا**!**"

إذن فهذا النموذج من العقلية الغربية لا يرى أن هناك خطراً يهدد الغرب من قبل العالم الإسلامي، ويرى تقسيم الحركات والأنظمة إلى ثلاثة مجموعات أصولية ورجعية وتقدميّة، ويدعو الغرب بحذر إلى تقديم دعم للمجموعة التقدميّة، وإلى أن يتفهم، رفض هذه المجموعة العلني لبعض التصرفات الغربية ما دام أنهم يتكلمون سراً معهم بلهجة المؤيد.

❑ **النموذج الثاني:** وهو كتاب للرجل ذاته، اسمه: "**١٩٩٩ نصرٌ بلا حرب**"، يعني أنه سيتحقق في نهاية القرن الميلادي لأمريكا نصر دون أن تحتاج إلى أن تخوض حرباً مع أعدائها.

فكرة الكتاب الأساسية:

يتوقع نيكسون في هذا الكتاب أن يستمر الروس والأمريكيون – وكان هذا قبل سقوط الاتحاد السوفيتي– حتى نهاية القرن في قيادة العالم، ثم يتوقع أن ينضم إليهم في القرن القادم اليابان –الذي

أسماه العملاق–، وأن تنضم إليه الصين الشيوعية –التي سماها العملاق الذي بدأ يستيقظ–، وأن تنضم أيضا أوروبا الغربية – التي سماها العملاق المفتت الذي تعصف به الخلافات، وتقضي على وحدته.-

إذن منصة القيادة سوف تتسع لهؤلاء جميعا إضافة إلى أمريكا والاتحاد السوفييتي، والغريب في الأمر أن الرجل دعا في الكتاب إلى أن تصبح اليابان قوة عسكرية عالمية جديدة، وأن تدخل ميدان التصنيع العسكري، ثم قال: إن هذا الدور يتطلب أيدٍ عاملة رخيصة الثمن لكي تحقق هذه الصناعات اليابانية قدرة على التنافس العالمي.. وقال: وهؤلاء العمال سوف يُؤتَى بهم من دول العالم الثالث — أي الإسلامي في أغلبه – الذي يشهد نمواً سكانياً كبيراً.

وحين ينتقل إلى أوروبا، فإنه يتحدث عن ضرورة إحساس أوروبا بالدفاع المشترك، ويقترح توحيد الجيوش الأوروبية لإيجاد حل لمشكلة الدفاع ضد أي عدو محتمل.

ثم يخصص فصلا عنوانه "ساحات المعارك".. يعني به الأماكن

التي يتوقع أن تكون ساحات للمعارك، إنها فيما يسميه العالم الثالث، ففي حالة تفاقم الصراع بين هؤلاء العمالقة، فإن ميدان الحرب هو العالم الثالث الذي هو العالم الإسلامي في غالبه، أما في حالة الانسجام والاتفاق بين هؤلاء العمالقة، فإن العالم الإسلامي هو الغنيمة التي يتداعون إليها، مصداقاً لحديث الصادق المصدوق ﷺ: **"يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها، فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ؟ قال: بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل".**[1]

- **نظرة الكتاب إلى العالم الإسلامي:**

يتكلم عن العالم الإسلامي فيشير إلى القوة البشرية، ويقول: إن أربعة من كل خمسة يولدون في العالم هم من العالم الثالث -يعني أربعة أخماس المواليد هم في العالم الثالث-، ويشير أيضا إلى أن الغرب جزيرة تعج بالقدرات، والخيرات، والثروات وسط بحر من الفقر يمثله العالم الثالث، وبالدرجة الأولى أفريقيا التي فيها

(1) أخرجه أبو داود (٣٧٤٥)، وأحمد (٢١٣٦٣)، من حديث ثوبان رضى الله عنه.

أدنى نسبة في الدخل الفردي، التي تصل إلى حد الصفر في الصومال وجيرانها.

إذن أوروبا جزيرة غنية في وسط بحر فقير، والعالم الثالث مع ذلك هو بؤرة الحروب والثورات في العالم، ولذلك فإن ساحة الحرب العالمية الثالثة، وساحة القتال -كما يقول- سوف تكون العالم الثالث.

وبقدر ما تحدث هذا الرجل عن الخطر الشيوعي، فقد تحدث عن التيار الديني الأصولي، الذي يسعى إلى إشباع الحاجات الروحية والمعنوية للإنسان في العالم الإسلامي، ولذلك قال: إن رياح التغيير في الشرق الإسلامي وصلت إلى مرحلة الإعصار، الذي لا يمكن وقفه، ولكن يمكن تحويل اتجاهه.

- **نظرة الكتاب لإسرائيل والموقف الأمريكي تجاهها:**

ثم تكلم عن إسرائيل والالتزام الأمريكي ببقائها، وبرر ذلك بأمور:

أولاً: أن إسرائيل دولة ديموقراطية، عكس الدول الأخرى

العربية كلها.

ثانياً: أن إسرائيل دولة ارتقى شعبها إلى مستوى تعليمي أصبح ينافس شعب اليابان.

ثالثاً: أن إسرائيل دولة بلا موارد، ومع ذلك فإن اقتصادها الصناعي قادر على المنافسة العالمية.

رابعاً: أن القوات المسلحة في إسرائيل من أفضل جيوش العالم، ولذلك فإن أمريكا تدفع لإسرائيل أعظم الإعانات. فالذين يستحقون الإعانة في العالم كله في نظر أمريكا عددهم ثلاثة مليارات إنسان، ولكن الواقع أن ربع الإعانة الأمريكية يذهب إلى إسرائيل، التي لا تشكل إلا ثلاثة ملايين يهودي فقط.

- **نتائج الكتاب:**

يَخلُص الرئيس نيكسون في كتابه هذا إلى النتائج التالية:

أولا: أن التغيير قادم لابد منه.

ثانيا: أن الصراع والتنافس قائم وقادم أيضاً ولابد منه. ولا شك أن ما قاله صحيح من النظرة الشرعية، فإن الله تعالى يبين لنا

في القرآن أن الخلاف قائم بين البشر ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس: ٩٩] وقال الله عز وجل ﴿ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ ولذلك خَلَقَهُمْ ﴾ [هود: ١١٨، ١١٩].

فبين الله – عز وجل – في كتابه أن الصراع بين البشر قائم لا محالة، وأن التغيير أيضاً موجود وهو من طبيعة الأشياء، فإن الأمور لا تستقر في هذه الحياة، ولا يدوم على حال لها حال.

ثالثاً: أن ساحة القتال هي العالم الثالث.

رابعاً: أن الغرب أثبت أنه يجيد إرسال الأموال إلى مواطن الإعانة، وذلك في شكل معونات ومساعدات، ولكنه لم يثبت – على حد تعبير نكسون- أنه يعمل لدعم مبادئه**!!**

يقول: نحن نعطي أموالا دون أن نؤثر في الناس مقابل هذه الأموال، ولهذا فإن التوصية أن على الولايات المتحدة أن تتصدر حملة عالمية لانتزاع الزعامة الروحية، وليس فقط الزعامة الاقتصادية،

أو الزعامة العسكرية. وبمعنى آخر فإنه يدعو أمريكا إلى أن تقدم الإنجيل في يد، حين تقدم المساعدة في اليد الأخرى. وهذا يفسر لنا الحملة المسعورة للمنظمات الصليبية التنصيرية من أمريكا وبريطانيا، التي أصبحت تجتاح العالم كله، والعالم الإسلامي على وجه الخصوص، فمئات الإرساليات انطلقت إلى الجمهوريات السوفيتية المستقلة حديثاً، وإلى قارة أفريقيا، وإندونيسيا، ودول الخليج العربي مبشرة بالإنجيل، فضلاً عن جهود إعلامية ضخمة مكثفة في هذا السبيل. إنهم يقولون ويصرحون بأنه لا يجوز أبداً أن ندفع الإعانات والمساعدات دون أن نقدم للناس الهداية الروحية -كما زعموا- وإشباع حاجاتهم النفسية، فلابد أن نقدم لهم النصرانية، في الوقت الذي نقدم لهم فيه الغذاء والكساء والدواء وألوان المساعدات المختلفة.

❑ **النموذج الثالث** :

كتاب مهم جداً اسمه "**التوقع العظيم**"، وقد ألفه "جيمس ديل" و "لورد ويليام ريس". وصدر هذا الكتاب عام ١٩٩١م.

- **أهم أفكار الكتاب:**

وأبرز ما في هذا الكتاب، أنه يؤكد أن أمريكا أنفقت مبالغ طائلة -وصَفَهَا بأنها تريليونات من الدولارات- في الماضي في التسليح لمواجهة ما يسمى بالحرب الباردة -مواجهة الاتحاد السوفيتي-، ولكنه أضاف: إن هذه الآليات الضخمة التي تملكها أمريكا اليوم لا تصلح أبدا، ولا تناسب لمواجهة الأعداء الجدد لأمريكا، فإن هؤلاء الأعداء ليسوا قوة قارية ضخمة على غرار الاتحاد السوفيتي، يحتاجون إلى هذه الآليات الهائلة، وليسوا قوة دكتاتورية محددة وهدفا مباشرا، كما هي الحال في العراق أثناء الحرب السابقة، ولكنهم عبارة عن دول صغيرة، أو أجزاء من دول، أو جماعات إرهابية، أو تعصبات دينية لا يمكن أن تواجه

بالباتريوت، [1]وبغير ذلك، فضلا عن الصواريخ عابرة القارات، أو غيرها.

وفي ختام مقدمة الكتاب قالا كلمة طريفة، قالا: "إننا نحذر أمريكا كما حذر يوسف -عليه الصلاة والسلام- فرعون من سبع سنين شداد تأتي بعد سبع سنين من الرخاء".

إذن هم يقولون أن سنين الرخاء التي يعيشها الغرب الآن، سوف تتبعها سنون شداد تحتاج إلى أن تتخذ العدة لها.

• نظرة الكتاب إلى الإسلام والعالم الإسلامي :

أما الفصل المهم في هذا الكتاب فهو الفصل السابع، الذي جعلا له عنوانا (محمد يحل محل ماركس)، جعلا النبي صلى الله عليه وسلم رمزاً للإسلام، وأن العقيدة الإسلامية سوف تحل محل الماركسية في مواجهة الغرب. وهذا الفصل في غاية الأهمية، ولذلك سنورد بعض ما جاء فيه:

(1) نوع من الصواريخ كانت تستخدم في حرب الخليج الثانية.

يقولان: "نتوقع أن يسيطر القلق الغربي من تحدي الإسلام على الأخبار مرة أخرى خلال العقد القادم، ولقد تجاوز أتباع محمد ﷺ أتباع ماركس وهم نيام، لقد ماتت الماركسية ولم يكن ماركس مصلحاً وهمياً فقط، بل كان أيضا قصير العمر، شأنه في ذلك شأن كل المصلحين العلمانيين. في الإسلام يقاس التاريخ بالقرون، الإسلام يعاود الانطلاق الآن". إنها كلمات جميلة نقرؤها بسرور بالغ، أن يتكلم غربيان عن الإسلام بهذه اللهجة.

ويقولان: "وبصدفة غريبة، فإن معظم الدول المصدرة للنفط هي إما دول إسلامية كالسعودية والعراق وليبيا وإيران، أو مجتمعات للإسلام فيها تأثير كبير مثل إندونيسيا ونيجيريا وحتى الاتحاد السوفيتي! وفي أكثر هذه البلدان يزداد الإسلام جاذبية كبديل لإستراتيجيات التطوير الفاشلة".

ثم يقولان: "الإسلام هو الدين الذي يحد أوروبا من الجنوب، إنه الدين العالمي الذي شكل عبر التاريخ أعظم خطر على التقاليد اليهودية والنصرانية. إنه أيضا دين الدول التي لها حدود مع إسرائيل، وتعارض حلم الشعب اليهودي في إنشاء وطن في

الشرق الأوسط. إنه دين أولئك الذين يتحكمون بثروات العالم النفطية، فكما اتضح من أحداث عام ١٩٧٣ ميلادي (يعني حين استخدم النفط كسلاح) ومن الثورة الإيرانية، فإن النفط بلا شك سلاح يمكن استخدامه، وكل من يتحكم به فإنه يمسك بزمام الرخاء الصناعي لدى الغرب".

ثم يقولان: "الإسلام يناسب ١٩٩٠ميلادي أكثر مما يناسب ١٨٩٠ميلادي. وبعض فرق الإسلام اعتمدت الإرهاب، والإرهاب ينمو كقوة عسكرية باقتراب القرن القادم. رغم نجاح أمريكا في طرد العراق من الكويت إلا أن الأمر احتاج إلى حرب، وهذا شاهد على انحدار الغرب كقوة رهيبة عسكرية، وما العراق إلا دولة صغيرة، سكانها يقاربون عدد سكان بلجيكا. إن محاولة العراق تدل على أنه مقتنع بأن أمريكا عاجزة عن كسب حرب بعيدة، ولو كانت ضد دولة صغيرة. إن السيطرة الغربية العسكرية على الشرق الأوسط كانت صعبة جدا في عام ١٩٢٠ميلادي، وقد ازدادت صعوبة في هذا القرن".

ثم يقولان: "سيتمكن الإرهابيون من الانسياب خلال المؤسسات

العسكرية للقوى الكبرى".

ثم وضعا عنوانا: (أفرقة أوروبا) أي تحويل أوروبا إلى قارة أفريقية.

يقولان فيه: "إن أوروبا تواجه أسلمة -يعني تحويلها للإسلام-، أو أفرقة لوجود الفجوة الاقتصادية، والسكانية الديموغرافية -يعني توزيع السكان- على جانبي البحر المتوسط بالذات، والناس يهاجرون من الجنوب إلى الشمال". ثم يقولان: "إن أفريقيا ودول الشرق تحتوي الآن على سكان صغار في أعمارهم مقارنة بالأعمار في أوروبا، التي تميل إلى الكبر والشيخوخة، كما أن أفريقيا مقبلة على انفجار سكاني، وهو قنبلة موقوتة تمتد على الساحل الجنوبي".

إذن فهما يتوقعان في خلاصة الكلام، أن العالم الإسلامي سوف يحتفظ أولا: بأعداد بشرية كبيرة جداً نظراً للتنامي السكاني المتسارع، وثانيا: أن هذه الأعداد الكبيرة يغلب عليها العنصر الشبابي، نظرا لكثرة المواليد، في الوقت الذي تعيش فيه أوروبا كلها وأمريكا مرحلة الشيخوخة: أولا: من حيث عدم

التنامي السكاني، وثانيا: أن ذلك وَلَّدَ قلة في عدد المواليد، وقلة في عدد الوفيات، فترتب عليه أن معظم الأوروبيين والأمريكيين هم من أصحاب الأعمار الكبيرة، من الخامسة والستين فما فوق، وهذا سوف يتولد عنه تلقائيا هجرة إسلامية إلى أوروبا، وإلى أمريكا، هجرة من عامة الناس: من العمال، ومن أصحاب الحاجات، والتجار، للبحث عن عمل أو البحث عن الثروة. وكما يقول أحد الفرنسيين: "إذا لم تذهب الثروة إلى الناس، فإن الناس يذهبون إلى الثروة"، فالقوم الفقراء سوف يبحثون عن الثروة. وهذا يفسر التدفق الهائل للناس إلى الولايات المتحدة، حيث الفرق في القوة الشرائية بين أوروبا وأفريقيا.

إن التوقعات تقول: إن سكان الشرق الأوسط -بما فيهم إيران- سوف يصلون في عام ألفين وثلاثين ميلادي إلى ما بين ثلاثمائة إلى أربعمائة مليون، وهذا أكبر بكثير من الرقم المتوقع في المجتمع الأوروبي، وإذا تنافسوا فإنهم سيجدون أن أوروبا ستواجه هجرة ثقافية وهجرة تقاليد، إنها ستكون هجرة لقوة الإسلام. ويتوقعون أن يكون معظم المهاجرين الجدد مسلمين نشئوا في

الهلال الموازي للبحر المتوسط.

ثم خَتَمَا ذلك بالحديث عن الخطر على إسرائيل، وأن تزايد الإسلاميين المتعصبين سوف يؤدي إلى مخاطر على إسرائيل، وعلى الهند، وربما أوجد نوعا من التفوق التسليحي، والبشري، والعسكري للمسلمين ضد عدوهم، سواء من اليهود أو من الهند أو من النصارى أو من غيرهم.

❑ **النموذج الرابع:** في مقال نشر في مجلة "واشنطن تايم"، وهو عبارة عن أحاديث متنوعة مع عدد من الخبراء الأمريكيين، فكان من هؤلاء الخبراء من يرى أن على أمريكا أن تقبل وتتحمل صعود القوى الإسلامية، التي أصبحت -كما يقول المقال- تهدد الحكومات الموالية للغرب في الشرق الإسلامي. ويقول: إن الإسلام قوة قائمة وقادمة، ولابد من تقبل ذلك وتحمله، على أن طائفة أخرى من هؤلاء يرون أنه لابد من تأييد الأساليب القمعية التي تتخذها بعض الدول لمواجهة التيار الإسلامي، فيقول مثلا: "لابد من الوقوف مع مصر في مواجهة من تسميهم مصر بالمتطرفين، ولابد من الوقوف مع تونس لمواجهة حزب النهضة ومن ورائه

الاتجاه الإسلامي، ولابد من الوقوف مع الجزائر لمواجهة جبهة الإنقاذ الإسلامي، ومواجهة التيار الإسلامي المتنامي"، ومن هؤلاء "مارتن كريمر" الذي يتكلم عن خطورة الديمقراطية فيذكر: "أن على أمريكا أن تتغاضى عن محاولة الحكومات العربية قمع الحركات الإسلامية، وعلى أمريكا أن تسكت عن هذا الاعتداء على حقوق الإنسان؛ لأن تلك الأنظمة، وتلك الجماعات، وتلك القوى الإسلامية لا تشكل تهديدا للدول العربية فقط، بل تشكل تهديدا للغرب ولإسرائيل".

بينما يقول خبراء آخرون مثل "جودت كيبر" -وهو من معهد بوكنز-: "إنه لا جدوى من محاولة قمع الحركات الإسلامية، ويجب أن نتعلم كيف نعيش معها، حيث لن نتمكن من التأثير على هذه الحركات، بل علينا أن نتعامل معها، وكل محاولة لقمعها، والقضاء عليها، فإنها سوف تؤدي إلى عمليات إرهابية تقوم بها تلك الحركات، مثل ما يحدث الآن في مصر والجزائر وغيرها".

❑ **النموذج الخامس:** وهو تحليل قديم في مجلة "الوطن العربي" (في ١٩٨٧/٩/٤)، حيث نشرت المجلة تحليلا بعنوان "**أمريكا تعود إلى مقاعد الدراسة لتتعلم الإسلام**". وقالت: إن الكونجرس يسأل: ما معنى السلفية؟ وأشارت إلى أن الإدارة الأمريكية تتحاشى الحديث العلني عن الإسلام والأصولية، أما الكونجرس فهو شديد الاهتمام بهذه الظاهرة، وقد عقد عدة جلسات واستمع إلى شهادة عدد من الخبراء سواء أكانوا خبراء أكاديميين، أو خبراء سياسيين، تكلموا عن الإسلام، وموقفهم منه، وماذا يحمل الإسلام؟ وماذا تحمل الدعوات الإسلامية المعاصرة؟ وقد جمعت هذه الشهادات في كتاب طبع في أكثر من أربعمائة وأربعين صفحة، وضم حصيلة شهادات سبعة من الخبراء، وكان غالب حديثهم تشخيصا للظاهرة الإسلامية -كما سموها- وتوصيفا لها وتحديدا لملامحها، وأسباب ظهورها.

❑ **النموذج السادس:** في مجلة "ناشيونال ريفيو" في ١٩٩٢/٥/١١، بعنوان: "**الإسلام والديمقراطية**"، وهو مقال بقلم "بيتر رودمان" المسؤول في عدد من الحكومات الأمريكية، وقد تكلم هذا الرجل عن انتقال الأصولية من الشيعة، كما هي في التجربة الإيرانية وفي ثورة الخميني إلى السنة، وأنها أصبحت تملأ الفراغ الذي خلّفه في العالم الإسلامي كله الإحباط الواسع، والفشل الذريع للمبادئ القومية والمبادئ الاشتراكية، التي حكمت المسلمين زمانا طويلا، وقال: إن هذه الحركات تكوّن تهديدا للحكومات المعتدلة الموالية للغرب في المنطقة، ولقد حذر بعض المراقبين من أن هذا الانبعاث الإسلامي نزعة شعبية قوية، وأن لها جذورا وأسبابا سياسية، واقتصادية، واجتماعية، ودينية. ثم قال: إنها مرحلة تاريخية يجب أن نتحملها حتى تفقد زخمها، ويمكن أن تفقد زخمها وقوتها وجاذبيتها، بواسطة فشلها في حل مشكلات المجتمع.

إذن هو ينادي بأن يُمكَّن الإسلام من الحكم في عدد من البلاد، ويراهن على أن الإسلام سيفشل في حكم تلك البلاد،

وبذلك سيفقد الإسلام، وتفقد الجماعات الإسلامية زخمها وجاذبيتها وتأثيرها، كما حدث بالنسبة للمبادئ القومية والاشتراكية. ومع أنهم يقولون ذلك، فإنه لا يستطيع أحد أن يجرب الإسلام فعلاً، لينظر هل يفشل الإسلام في إدارة شؤون الحياة، أم يتحقق العكس وتتحقق المعجزة التي يتحدثون عنها؟

وبعد مناقشة عدد من الخيارات في مواجهة الإسلام يقول: "إنه يمكن للإسلام أن يستنتج أنه ليس للغرب من خيار سوى أن يسلم بشرعية الصحوة الإسلامية، ويتعلم كيف يعيش معها".

ثم يقول: "ومع أنه ليس هناك سبب أوتوماتيكي يجعلنا نعتبر الإسلام حالا محل الشيوعية في العداوة للغرب، إلا أننا يجب أن لا نتجاهل المبادئ والعناصر الثورية في الإسلام، التي تشترك في ذلك مع الأيديولوجية الشيوعية".

□ **النموذج السابع**: مقال نشر في النيويورك تايمز عنوانه "**الموجة الإسلامية**" لــ"جودت ميلر"، وهي متخصصة في شؤون العالم العربي، قالت فيه: "إن هناك اتفاقاً على نطاق واسع بأن الإسلام السياسي، قد كسب قوة متزايدة من جراء حدثين وقعا في الشرق الأوسط في السنوات الأخيرة، الحدث الأول هو نهاية الحرب الباردة، والحدث الثاني هو حرب الخليج. إن سقوط الاتحاد السوفيتي والشيوعية، قد نكب القوى العلمانية اليسارية في العالم العربي، أما حرب الخليج فقد أوضحت بجلاء العجز، والوهن الذي أصبحت عليه الدول المنهزمة من الحرب، بل والدول التي انتصرت أيضا وذلك لأنها اعتمدت تماما على القوة العسكرية الغربية". ثم نقلت آراء عدد من المفكرين منهم (**محمد حسنين هيكل**) الذى قال: "بسبب إخفاق الأنظمة الحالية، وفسادها، وإفلاسها الاقتصادي، وبسبب غياب الرؤية البديلة، فإن هناك فراغا سياسيا كبيرا. إن الإسلام هو الوحيد الذي له معنى بالنسبة لأغلب العرب". ثم انتقلت إلى سؤال خطير: كيف يواجه الغرب هذه الظاهرة الجديدة –الإسلام–؟! قالت: "إن

صعود الأصولية الإسلامية، قد أثار مناظرات عديدة حول ماذا يمكن للغرب أن يفعل؟ إن بعض المسؤولين قد أوضحوا أن الأصولية هي العدو الجديد للغرب، وأنها يجب أن تعامل مثل معاملة الشيوعية خلال الحرب الباردة، إنهم يقولون: ستكون غلطة مأساوية لو نظرنا إلى اتجاه آخر، في حين أن هناك أحزابا إسلامية كثيرة، يتضح أنها ضد الغرب، وضد إسرائيل، وضد المرأة، وضد الديمقراطية، وتحاول مع ذلك أن تصل إلى السلطة في منطقة استراتيجية هامة، على أن هناك مراقبين آخرين يرون أن معارضة الإسلام، ومحاربة الصحوة، ستكون خطأً سياسيا مفجعا وسوف تؤدي إلى تعزيز الدوافع المعادية للغرب.." وذكرت نماذج لهؤلاء وأولئك.

□ **النموذج الثامن**: مقال نشر في جريدة الجزيرة عنوانه "**مصطلح الأصولية الإسلامية مصطلح مضلل**" وهو لخبير أمريكي في شؤون الإسلام، تكلم فيه عن لفظ (الأصولية)، وقال: "إن المسلمين كلهم أصوليون حسب التعريف الغربي، وأن هناك إجحافا في نظر الغربيين إلى الإسلام."

- **أما النموذج التاسع:** فقد نشر في جريدة المسلمون عدد ٤٠٥ وقال فيه "روبرت كرين": "الغرب لا يثق كثيرا في الحركات الإسلامية، ولا يثق في المسلمين بوجه عام، ويعود ذلك إلى خلفيات تاريخية، تعشعش في وجدانه منذ أمد بعيد، ولهذا أرى أنه ما لم تبرهن الحركات على أنها سوف تراعي، وتصون حقوق الإنسان، فلن يكون هناك تعايش معها من قبل الغرب.

الفصل الثاني

نقد وتحليل للموقف الغربي من الإسلام والصحوة الإسلامية

في الفصل السابق، عرضنا لبعض النماذج من الدراسات الغربية التي توضح نظرة الغرب للإسلام والصحوة، وفي هذا الفصل نلقي نظرة تحليلية على تلك النماذج:

- **أولا: أقسام الدراسات الغربية عن الصحوة الإسلامية:**

تتفاوت الدراسات الغربية -كما هو ظاهر- في موقفها من الصحوة الإسلامية، ويمكن أن نقسمها تقريبا إلى ثلاثة أقسام:

- **القسم الأول: الدراسات غير الموضوعية:**

وهي تلك التي تتحدث، وتكتب بروح العداء المحض، أو بروح التحريض على الإسلام، وعلى الدعوة الإسلامية، أو بروح التخويف المباشر من الإسلام، كخطر على الحكومات الوطنية في البلاد العربية والإسلامية، أو كخطر على إسرائيل، أو كخطر على الوجود الغربي بأكمله، دون أن تقدم أي أدلة كافية على

ذلك؛ بل إنها أحيانا تأخذ جزئية صغيرة، ثم تضخمها وتبالغ فيها! وعلى سبيل المثال: فتوى سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز — رحمه الله – في دعم المسلمين في البوسنة والهرسك، تُصوَّر في التليفزيون الكرواتي، وفي وسائل الإعلام، على أنها حرب إسلامية جديدة، سوف تُشَّن في منطقة البلقان ضد كل ما هو نصراني، وكل ما هو صليبي، ويجعلونها أحيانا تحت عنوان "**المسلمون قادمون**" أو "**الإسلام قادم**" أو ما أشبه ذلك من العناوين المثيرة. وغالب هذه المقالات البعيدة عن الموضوعية، تكتب في أوقات الأزمات، أو تكتب في مناسبة بعض الأحداث العاصفة، مثل أزمة الرهائن في إيران، أو أزمة العراق، أو أزمة ليبيا، أو قضايا خطف الطائرات، أو قضايا نسف السفارات –كما نسفت السفارة الأمريكية في لبنان مثلا– أو بعض مواطن الاحتكاك التي تدعو إلى إبراز هذا الحدث أمام الغرب، ثم التعليق عليه بما يوحي بأن المسلمين وراءه أو أن هذا نموذج للحرب الإسلامية، ويُلقَى في حس المشاهد أو المستمع الغربي العادي الخوف والكره لكل ما يمت للإسلام بصلة، كنوع من تمكين وترسيخ الحواجز ضد الإسلام، وغالب

هذه الدراسات غير موضوعية، تفهم الإسلام من خلال بعض الحركات الخاصة، وبالذات الحركات الثورية الشيعية في لبنان وإيران، وتكون مدفوعة في دراستها بدوافع دينية عدائية ضد الإسلام وأهله، وقد يكتبها اليهود مدافعين عن إسرائيل، أو يكتبها النصارى المتعصبون أو غيرهم، فهذا هو النوع الأول من الدراسات.

- **القسم الثاني: دراسات تُهوّن من شأن الإسلام والصحوة الإسلامية:**

هذه الدراسات تعتمد على التهوين من شأن الإسلام، ومن شأن الصحوة الإسلامية، وتعتبر أنها مجرد فقاعات طارئة، وسوف تزول سريعا، وأن العلمانية أرسخ في الميدان السياسي، والاجتماعي، والاقتصادي، وأقوى ولن تزول.. فيرون مثلا أن الربا أصبح جزء لا يتجزأ من الاقتصاد في العالم الإسلامي، فلا سبيل إلى إزالته، وأن النظام الاجتماعي المتحلل في السوق والجامعة والبيت، والإعلام وغير ذلك، أصبح راسخا ويصعب اقتلاعه، وأن الأنظمة السياسية العلمانية أيضا عميقة الجذور..

وبناء عليه يرون أن الصحوة الإسلامية، لا تعدو أن تكون فقاعات مؤقتة، أو ظاهرة عابرة. وهذا اللون من الدراسات بدأ يقل، ويفقد الأدلة يوما بعد يوم، تحت مطارق الحقائق المتتابعة عن رسوخ الإسلام وعمقه وامتداده وبقائه. ومن هؤلاء أيضا من يشكك في قدرة الإسلام على إدارة شؤون البلاد، لكن لم يجرؤ أحد من هؤلاء قط، على أن يعطي فرصة التجربة للإسلام. إنهم كانوا يقولون: لا يمكن أن ينجح الإسلام في إدارة شؤون البلاد، ولكن لما أوشك الإسلام على الوصول إلى السلطة في الجزائر، اتفقوا جميعا على إجهاض تلك التجربة الانتخابية التي يسمونها ديموقراطية وتتمشى مع قواعدهم وأصولهم؛ لأنها سوف تتسبب في وصول من يسمونهم بـــ "الأصوليين" إلى السلطة؛ فلم يقبلوا بذلك، ولا على سبيل التجربة؛ لأنهم يدركون أن وصول الإسلاميين للسلطة، يعني تغيير المجتمع.

- **القسم الثالث: دراسات تحاول أن تظهر في صورة الموضوعية والاعتدال:**

هذه الدراسات تحاول أن تقدم نفسها على أنها دراسات

موضوعية معتدلة، وتحاول أن تفرّق بين الطوائف الإسلامية في مناهجها، وفي موقفها من الغرب، وفي غير ذلك، وبالتالي تحدد إمكانية التعامل مع هذه الطائفة، أو تلك، أو مع هذا النمط، أو ذاك.

وإن كانت جملة هذه الدراسات تميل إلى منح الإسلام دورا أكبر في المستقبل، فمعظم الدراسات مجمعة على أن الإسلام له دور كبير في المستقبل، وعلى أن الإسلام يجب أن يوضع في الاعتبار في أي قرار يتخذ.

❑ **ثانيا: توجيه التوصيات لصناع القرار في الغرب لمواجهة الصحوة الإسلامية:**

إن معظم هذه الدراسات تختم بتوصيات، وتوجيهات لمراكز صنع القرار في الغرب، في كيفية مواجهة ما يسمونه بالصحوة الإسلامية، أو الخطر الإسلامي الأصولي.

وعلى سبيل المثال: البروفيسور "**دانيال بايبت**" قدم بحثا لمركز دراسات الشرق الأوسط في جامعة هارفرد، عنوان الدراسة

"**المسلمون المتعصبون وسياسة الولايات المتحدة**"، وكان من ضمن التوصيات التي قدمها وختم بها ما يلي:

أولا: يجب عدم تقديم المساعدة للمسلمين المتعصبين في صفوف المعارضة، مع أن الاتصال بهم مفيد في معرفتهم، والتعرف على ما عندهم إلا أنه يجب عدم مد يد العون إليهم.

ثانيا: يجب نصرة الحكومات الإسلامية، ونصحها بعدم إدخال المتعصبين في صفوفها؛ إذ إن مشاركة المتعصبين في صفوف الحكومات، سوف تؤدي إلى سياسة معادية للأمريكيين.

ثالثا: يجب تخفيض الروابط الأمريكية المعلنة بالحكومات العربية والإسلامية، ولا سيما في البلدان التي توجد فيها حركات متعصبة قوية؛ لأن هذا خطر على تلك الحكومات، وهنا من الممكن أن نقدم التعاون الخفي السري النشط، كبديل عن الروابط العلنية المعلنة الواضحة، التي تحرج أصدقاءنا في العالم العربي والإسلامي.

ويقول التقرير في النهاية: يجب أن لا يقرر الزعماء المسلمون

وحدهم، طبيعة العلاقة الصحيحة الواجب إقامتها مع الولايات المتحدة؛ بل على أمريكا أن تحدد وتقرر مثل هذه العلاقة، وليس سواها.

- **ثالثا: الصحوة الإسلامية حدث فرض نفسه على الساحة:**

إن الصحوة الإسلامية في كل هذه التقارير، حَدَثٌ فرض نفسه على الساحة، وهذا يذكرنا بالأمر الذي كان يقوله المنافقون في زمن الرسول ﷺ، فإنهم أول الأمر ظنوا أن مجيء النبي ﷺ للمدينة لن يغير كثيرا من الأحداث، وأنه موقوت، ولكنهم وجدوا أن الإسلام ينتقل من نصر إلى نصر، وما بقي بيت إلا دخله الإسلام، ثم توج ذلك بمعركة بدر، التي خرج الإسلام فيها ظافرا منتصرا، فلما حصل ذلك قال عبد الله بن أبيّ ومن معه من المنافقين: "هذا أمر قد توجه"! فبايعوا رسول الله ﷺ على الإسلام!!.. وهكذا يفكر الغرب في كثير من مراكزه ودوائره، سواء كانت دوائر استخبارات أو علمية أو سياسية، أن الصحوة الإسلامية اليوم حدث كبير وعظيم بكل المقاييس، وأنها تملك من وسائل العلم والخبرة والإعلام وغير ذلك الشيء الكثير؛ بل تملك

من المؤسسات الاقتصادية والسياسية ومراكز البحث ما يجعلها ذات نفوذ على المستوى الإسلامي الشعبي والعالمي. وبناء عليه فإنهم يطالبون في كثير من الأحيان، بأن تُعطَى الفرصة للصحوة الإسلامية، ويعتبرون هذا أحيانا نوعا من الاعتراف بها، ويعتبرونه أحيانا أخرى من أجل إزالة البريق، واللمعان، والجاذبية عن الإسلام؛ فإن الإسلام حينما يُضطهد، ويُضيق عليه، ويُحارب، فإنه يكسب مزيدا من الأنصار، ومزيدا من المحبين، ومزيدا من المتعاطفين معه، وهم يظنون أن إعطاءه بعض الفرصة، سوف يترتب عليها إجهاض للتجربة الإسلامية كما يعبرون.

إننا ينبغي أن ندرك، أنه في الوقت الذي تطالب فيه مراكز الإعلام الغربية، في عدد غير قليل من دراساتها بإعطاء الإسلام وحملته فرصة كافية، فإننا نجد أن الكثير من المسؤولين في العالم الإسلامي، يتجاهلون الوجود الإسلامي القوي ويرفضون وضعه في الإعتبار عند اتخاذ أي قرار، وقد أدى ذلك إلى ردات فعل غير محسوبة ولا منضبطة في كثير من بلاد المسلمين وجدت في العنف طريقاً للإعلان عن مطالبها ولفت نظر العالم إلى وجودها الذي

يواجه بتجاهل أو مصادرة واستئصال.

- **رابعاً: الغرب يتحدث عن الصحوة الإسلامية برعب شديد:**

إن الغرب يتحدث عن الصحوة الإسلامية - لا نقول حديث المعترف بها فحسب- بل حديث المرعوب منها، وهذا يذكرنا بقول النبي ﷺ "**نصرت بالرعب مسيرة شهر**".[1] إن الغرب يحسب دائما حسابه في التطورات والأحداث، التي قد لا يمكن قياسها أو التنبؤ بها، كما جرب ذلك كثيرا، فهو يدرك أن رحلة الألف ميل تبدأ بخطوة واحدة، وأن هناك احتمالات كثيرة لمزيد من الرسوخ للإسلام، وللصحوة الإسلامية.

- **الاحتمالات المستقبلية للعالم الإسلامي وللصحوة الإسلامية في نظر الغرب:**

توجد احتمالات كثيرة، من هذه الاحتمالات ما يلي:

أولا: حدوث التلاحم بين الشعوب الإسلامية وبين الصحوة:

---

(1) أخرجه البخاري (٣٢٣)، (٤١٩) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه، وأخرجه مسلم (٨١٤)، (٨١٥) من حديث أبي هريرة رضى الله عنه.

فهم يدركون أن من أخطر الأمور أن تصحوا الشعوب الإسلامية على صوت النذير، وأن تدرك أن نجاتها وتحقيق طموحاتها الدينية والدنيوية، هو أن تجعل أيديها في أيدي دعاة الإسلام. إن الشعوب لا تقبل الكلام الإعلامي، الذي تردده الصحف عن المتطرفين، الذين لا هم لهم إلا القتل والسلب والنهب والحرق وقتل الناس من غير جريمة، وربما وصفتهم الصحف بالخيانة والإجرام والاعتداء على الأعراض، والاهتمام بالجنس، إلى غير ذلك من قائمة الاتهامات الباطلة، التي أصبح الناس يكتشفون يوما بعد يوم أنه لا رصيد لها من الواقع.

إذن هناك حملة إعلامية للحيلولة بين الشعوب الإسلامية وبين الصحوة الإسلامية، ومع ذلك فإن الأمر بحمد الله تعالى تجاوز هذه الحدود والسدود، واستطاع الدعاة إلى الله، والمسلمون والمصلحون، على رغم التعتيم الإعلامي، أن يخاطبوا كثيرا من المسلمين، وأن يصلوا إلى قلوبهم، وأن يقنعوهم بالحقيقة، وأن يزيلوا عنهم زيف الإعلام العربي الكاذب، الذي صوَّر الصحوة أبشع تصوير.

ثانيا: وجود نوع من الوحدة الإسلامية:

فالعالم الإسلامي، الذي يملك أعدادا بشرية تزيد – حسب الإحصائيات العالمية – على ألف مليون إنسان، وهو يتنامى بسرعة وبقوة غريبة، والعالم الإسلامي الذي يملك الثروات الهائلة الطائلة، بل العالم الإسلامي الذي أصبح اليوم يملك حتى الأسلحة النووية، كما في دول آسيا الوسطى وغيرها، فضلا عن أنه يملك قبل ذلك كله الدين والعقيدة التي يمكن أن يغزو بها العالم، ويجتمع عليها وهي عقيدة الإسلام؛ فإن هذا العالم الإسلامي لو توحد، أو وجد نوعاً من التنسيق الاقتصادي، أو العسكري، أو السياسي، بين حكوماته لكان قوة كبيرة.

ماذا لو وُجِدَ نوع من الوحدة بين دول العالم الإسلامي، وحدة على دين الله، وحماية الإسلام، والدفاع عن أراضي المسلمين ومناصرة قضاياهم ؟

لقد عجزت أكثر من سبع وأربعين دولة إسلامية في الأمم المتحدة، أن تفرض قضية البوسنة والهرسك على مجلس الأمن، لا أن تنتزع قرارا منه بحال من الأحوال، ولا أن تسمح حتى

للمسلمين بأن يشتروا السلاح ليدافعوا عن أنفسهم، فهم لا شأن لهم الآن؛ لأنهم دول متفرقة تدور في فلك الغرب، وفي ركابه، لكن لو وُجِدَت أحداث معينة جمعت المسلمين، ووحدت صفوفهم على كتاب الله تعالى، وسنة نبيه ﷺ، وعلى المنهج الحق، وعلى القيادات الراشدة التي ما دافعت إلا عن دين الله، وما اجتمعت إلا لنصرته، لكانوا قوة عالمية لا يستطيع أن يقف في وجهها أحد.

ثالثاً : امتلاك السلاح النووي:

إنهم يتكلمون الآن عن إيران بالدرجة الأولى، أنها أصبحت قوة نووية في المنطقة، وأنها أصبحت ذات نفوذ فعال، ولكنهم يدركون أيضا أن عدداً من الجمهوريات الإسلامية في الاتحاد السوفيتي تملك السلاح النووي، وأنه خلال سنوات ليست بالبعيدة سوف يستطيع المسلمون الحصول على هذا السلاح، الذي قد ملكته إسرائيل منذ زمن بعيد.

رابعا: الكثافة السكانية:

إنهم يلاحظون أن المسلمين يتزايدون بشكل كبير، في الوقت الذي يحد الغرب فيه من النسل، حتى إن المسلمين في أوروبا – فرنسا، وبريطانيا مثلاً– هم أكثر من يأخذ الإعانات على المواليد من تلك الدول، أما الغربيون أصحاب البلاد الأصليين، فإن الواحد منهم إذا جاءه طفل أو طفلان أو ثلاثة على أكثر تقدير، توقف عن الإنجاب نهائيا، أما المسلم فإنك تجد عنده عشرة، أو خمسة عشر من الأولاد، ونفقتهم تعتمد على الإعانات التي تدفع لتشجيع النسل؛ فحتى الإعانات التي يدفعها الغرب لتشجيع النسل، ظفر بها المسلمون المقيمون هناك وليس الأمر قاصراً على أوروبا وحدها، بل إن الأستراليين اليوم يتكلمون عن مجيء المسلمين من إندونيسيا إلى أستراليا واستقرارهم فيها وهيمنتهم واحتلالهم لها وكأنه أمر يقيني مفروغ منه، وكأنه نزل عليهم به نبوءة صادقة لا شك فيها. يتكلمون عن ذلك كلام المستيقن؛ لأنهم يرون أن هذا العدد الكبير المتنامي ليس أمامه خيار آخر، وأنه سوف يجتاح هذه القارة الخالية (أستراليا)، وسوف

يستوطنها، ولذلك فهم يعدون العدة الآن لاستقبال هذه الكثرة الإسلامية. ومثل ذلك ما جاء في كتاب (**التوقع العظيم**) من ترقب أمريكا وأوروبا مجيء المسلمين من آسيا وأفريقيا إلى تلك البلاد، حيث الثروة، وحيث الصناعات الكثيرة، ومثل اليابان أيضا، حيث الصناعات الكثيرة التي سوف تحتاج إليهم. وبناء على ذلك، فإن الإسلام يهدد الغرب ليس فقط في العالم الإسلامي، بل حتى في عقر داره أوروبا وأمريكا.

❑ **خامسا: الإسلام والغرب بينهما تباين كبير:**

إن هناك تباينا واضحا وكبيرا بين الإسلام، والصحوة الإسلامية من جهة، وبين الغرب، والمبادئ الغربية، والدول الغربية من جهة أخرى. هذا التباين يظهر في عدة جوانب وهي:

- **الجانب الأول: الدين:**

وهو أهمها وأعظمها ، فإن العالم الإسلامي، الذي يدين بدين الإسلام، ويعتبر أن أي زيادة في الدين هي من البدع، التي تجعله محدثا، كما قال النبي ﷺ: "**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه**

فهو رد"،[١] وفي رواية: "**من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد**".[٢] ولهذا ومنذ وفاة النبي ﷺ لم يطرأ على الإسلام أي تغيير، ولم يدخل في الإسلام أي قانون أو نظام أو حكم جديد، فهو باق كما أنزل، لم تعبث به يد التغيير والتحريف، وهذا سر من أسرار عظمته، ففي ذلك حفظ الأمن، وحفظ الاقتصاد.. وقد ظل هذا الدين يقاوم العوادي منذ ألف وأربعمائة سنة.. وإذا كانت عداوة الشيوعية لأوروبا عمرها سبعون سنة، فإن أوروبا تعيش عداء مع الإسلام منذ ما يزيد على ألف وأربعمائة سنة.

- **الجانب الثاني: النمط الاجتماعي والسلوكي والحضاري الإسلامي المخالف للنمط الغربي:** فالغرب مثلاً ألف الإباحية، وأقام أنماطاً اجتماعية مختلفة، وأنماطاً سلوكية، وحضارية، وموروثات عقلية واجتماعية كثيرة أما الإسلام فيقيم مجتمعاً متكاملاً بعيداً عنها كل البعد، والغرب يترعج من أي نمط سلوكي حضاري مخالف لنمطه.

---

(1) أخرجه البخاري (٢٤٩٩) ومسلم (٣٢٤٢) من حديث عائشة رضى الله عنها.

(2) أخرجه مسلم (٣٢٤٣) من حديث عائشة رضى الله عنها.

• **الجانب الثالث: قضية الجهاد في الإسلام:** وهي أكثر ما يخيف الغرب. إن المسلم يؤمن بأن الجهاد ماضٍ إلى قيام الساعة، كما ذكر النبي ﷺ،[1] وأن المسلم القادر يجب أن يجاهد الكفار والمنافقين، حتى يعطوا إحدى ثلاث : إما أن يدخلوا في دين الله – عز وجل – فيكونوا اخوة للمسلمين لهم ما لهم وعليهم ما عليهم، وإما أن يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون، وإما قتالهم وجهادهم. وهذه عقيدة مستقرة لدى المسلم، وهي أكثر ما يخيف الغرب، لأنه لا يعرف الإسلام إلا من خلال السيف، ولذلك فإن العالم الغربي يعيش كرهاً شعبياً عاماً للإسلام، وذكر الإسلام أو المسلمين يستدعي في أذهانهم مجموعة من المعاني السيئة: كاضطهاد المرأة، القتل، سفك الدماء، وتعدد الزوجات، والرق، إلى غير ذلك من المعاني.. فضلا عن مجموعة من الأحداث، مثل خطف الطائرات، والاغتيالات، وتفجير السفارات، والحرائق إلى غير ذلك من الأعمال التي نجح الإعلام الغربي في ربطها بدين

---

(1) انظر سنن أبي داود (٢١٧٠).

الإسلام، ليحول بين الإنسان العادي في الغرب، وبين فهم الإسلام على حقيقته، وملء نفسية الإنسان الغربي بشحن مضاد ينفره من الإسلام.

هذا إضافة إلى القيادات الغربية السياسية، والفكرية، فإنها تسعى إلى تعميق الهوة بين الشعوب الغربية والإسلام، وتحاول إثارة مشاعر الغضب كلما هدأت.

وهذا كله لا يمنع من وجود أفراد قلوا أو كثروا، في تلك المجتمعات، ممن لديهم أخلاق إنسانية عالية، ونظرة متزنة، أو ممن درسوا الإسلام، ولا يحملون له كرهاً أو حقداً، أو عداوة، ولكنهم يظلون أقلية لا يحسب لها حساب، فضلاً أن يكون لها تأثير، وهذا ليس بغريب، ففي زمن النبي ﷺ، كان هناك من بين الكفار من لا يحمل للمسلمين بغضاً، وعبد الله بن أريقط خير مثال على هذا؛ إذ كان دليلاً للرسول ﷺ في حادثة الهجرة مع أبي بكر، وكان هادياً أميناً رغم أنه كان مشركاً، وهكذا يوجد في كل زمان ومكان أفراد لا يحملون عداوة للإسلام أو معلوماتٍ مسبقة عنه أو حقداً عليه، ولكن هؤلاء الأفراد يضيعون في تيار

شعبي جارف من العداوة للإسلام، ويضيعون أيضا في عمليات مبرمجة منظمة، تديرها القيادات الغربية لتحريك العداوة للإسلام كلما هدأت.

الخاتمة

اتضح لنا في هذه الرسالة، أن الغرب شعوبا وحكومات — باستثناء أفراد قلائل لا اعتبار لهم — يتخذ موقفا عدائيا من الإسلام والمسلمين بصفة عامة، ومن الصحوة الإسلامية بصفة خاصة. وهذا الموقف ناشئ عن تاريخ طويل من العداء بين الإسلام والغرب، وناشئ كذلك عن الصورة السلبية الماثلة في ذهن الغرب، عن الإسلام والمسلمين، نتيجة أسباب مختلفة ، تعرضنا لها خلال الموضوع.

ورغم اتفاق أهل الغرب في موقفهم العدائي هذا، إلا أنهم يختلفون في كيفية مواجهة الإسلام، والصحوة الإسلامية، كل حسب اجتهاده وتقديره للأمور.

وعلى المسلمين – عامة –، وعلى أبناء الصحوة — خاصة أن ينطلقوا في صراعهم مع أعدائهم من الغرب وغيره، من خلال فهم نفسية العدو ، ونظرته لنا نحن المسلمين، حتى يتمكنوا من تصحيح هذه النظرة، وإقامة الحجة، ومواجهة العدواة، وإحراز النصر للإسلام بمعونة الله وتوفيقه وهداه.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ..

الفهرس